الفتنة والابتلاء.. سنّة لا تتخلّف

إنابة نبيّ الله سليمان عليه السلام

الشيخ محمّد صنقور

القرآن المجيد غير غنيّ عن التفسير والتبيين؛ إمّا تبيينه بنفسه كاستظهار معنى آية بآية أخرى، أو تبيينه بكلام مَن نزل على قلبه المقدّس، يقول سبحانه: ﴿..وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾. (النحل:٤٤)

في هذه المقالة المختصرة من مدوّنتين للعلامة الشيخ محمّد صنقور، أحد أساتذة الحوزة العلمية في البحرين، إضاءة على آيتين من كتاب الله تعالى، ترتبطان بمُلك نبيّ الله سليمان عليه السلام، نوردها نقلاً عن «موقع الهدى الإلكتروني»، المتخصّص في علوم القرآن الكريم ومعارفه.

«شعائر»

قال تعالى في سورة (ص)، الآية الرابعة والثلاثين:﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾.

تتحدّث الآية المباركة ظاهراً عن أنّ الله تعالى قد ألقى على كرسيّ سليمان جسدًا، وكان في ذلك امتحانٌ لسليمان عليه السلام واختبارٌ له، ويظهر من التعبير ﴿فَتَنَّا﴾ أنّ الابتلاء المشار إليه في الآية كان بليغًا، من شأنه أن يَبعثَ على الجزع أو الافتتان، إلا أنّ سليمان عليه السلام، استقبل ذلك بقلبٍ صابر، وآبَ إلى ربّه مسلّماً راضياً بقضائه وقدره تعالى.

وقد اختلفت الأقوال في بيان طبيعة هذا البلاء ونوعه، والأوفقُ منها، بظاهر الآية، أنّ الله تعالى رزق النبيّ سليمان ولدًا، فكان شديد التعلُّق به، يخشى عليه أنْ يموت فيفتجع بفقده، أو كان يخشى عليه من سطوات الأشرار الذين لا يريدون أن يكون لسليمان ولدٌ فيرث سلطانه، فلعلّ هذا ما دفعه إلى تغييبه عن أنظارهم والمبالغة في حمايته، فأراد الله تعالى أن يمتحن سليمان في صبره على فقد أعزّ ما عنده، ويمتحن مقدار تسليمه لقضاء الله ورضاه بقدره. هكذا، ومن دون سابق إنذار، وجد سليمان عليه السلام ولده جثّةً هامدة مُلقاةً على كرسيّ مُلكِه، فهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ ﴾، فهو بمعنى ابتلينا وامتحنّا صبره، وذلك بقبض روح ولده الذي كان يُشفقُ عليه من الموت، وعلى الرغم أنّ هذا البلاء من شأنه أنْ يبعث عند سائر الناس على الجزع والسخط، لكنّه لم يترك هذا الأثر في نفس سليمان عليه السلام، بل كان تأثير هذا البلاء هو أنّه قاده إلى المراجعة والالتفات إلى أنّ هذا النحو من التعلُّق ليس محمود العواقب، فقد يُفضي بالإنسان إلى أنْ يستعظم قضاء الله، فلا تكون إرادته ورغبته واقعةً في سياق إرادته عزّ وجلّ. وهذا هو منشأ استغفاره وأوبته، فإنَّ الأنبياء يستغفرون من مخالفة الأَولى.

وقيل في تفسير الآية، أنَّ المُلقى على كرسيِّ سليمان عليه السلام، هو سليمان نفسُه، فقد ابتلاه الله تعالى بمرض عضال أقعده عن الحركة فصيَّره مطروحًا على كرسيِّه كأنّه جسدٌ بلا روح، لكنّ هذا التفسير مخالفٌ لمقتضى الظاهر من الآية.

حقيقة هاروت وماروت

قال تعالى في الآية الثانية بعد المائة من سورة البقرة: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾.

المستظهَر من القرآن الكريم والعديد من الروايات الورادة عن المعصومين عليهم السلام أنّ هاروت وماروت ملَكان من الملائكة. وما ادّعاه البعض من أنّ القراءة الصحيحة هي بكسر اللام لا بفتحها، فيكون هاروت وماروت من الملوك وليسا من الملائكة، يستند إلى قراءةٍ شاذّة ومنافية لِما عليه جمهور القرّاء والمفسّرين، فضلاً عن منافاته للروايات المعتبرة في كونهما من الملائكة.

وأمّا منشأ تصدّيهما لتعليم الناس السحر، فهو -كما تفيد الروايات الورادة عن أهل البيت عليهم السلام- أنّه في زمنٍ من الأزمنة الغابرة كثُر بين الناس السحرة والمموّهون، وكانوا يستغلّون جهل الناس بحقيقة السحر، وكان من كيدهم أنّهم يدّعون القدرة على ما يأتي به الأنبياء من معجزات، فيصرفون -بما يُظهرونه من غرائب- الناسَ عن النبيّ المبعوث إليهم، وكانت لهم مع الناس أفعال تضرّ بحالهم وعلائقهم، فأنزل الله الملَكين هاروت وماروت على نبيّ ذلك الزمان ليكشفا له عن سرّ ما يُظهره السحرة من غرائب، ويعلّمانه الكيفية التي يُبطل بها أثر سحرهم وتمويهاتهم.

فكلّف النبيّ عليه السلام، الملَكين هاروت وماروت بأن يتصدّى كلٌّ منهما لتعريف الناس بذلك، فظهرا للناس، بإذن الله تعالى، في صورة بشرَين وعرّفاهم سرَّ ما يُظهره السحرة من غرائب، وكيفية الوقاية من أثر سحرهم، والوسيلة لإبطاله. فكان ذلك مقتضياً لتعليم هؤلاء الناس أصول السحر، إذ لا سبيل للوقاية منه وإبطاله إلّا بالوقوف على أصوله، إلّا أنّهما كانا يُحذّران كلّ مَن يتعلّم منهما السحر من الافتتان، إذ إنّ المعرفة بالسحر قد تُغري العارف به وتدفعه إلى أن يُسخّره فيما يضرُّ بعباد الله، وهو على حدِّ الكفر: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾، فكان المتعلّمون يدركون عاقبة الزَّيغ والانحراف عن الهدف من تعليم الملَكين لهم، قال تعالى: ﴿..وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ..﴾ البقرة:١٠٢.

هذا هو حاصل الرواية المأثورة عن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام، كما في (عيون الأخبار) للشيخ الصدوق.

المِنَنُ السَّابِغَة

الاستغفار في رجب

* عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «**مَن قال في رجب** أَستَغْفِرُ اللهَ الّذي لا إلَهَ إلّا هُوَ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ وأَتُوبُ إلَيْه **مائة مرّة، وختمَها بالصّدقة، ختم اللهُ له بالرّحمة والمغفرة، ومَن قالها أربعمائة مرّة كتب الله له أجر مائة شهيد..**».

* وفي رواية مَن استغفر الله تعالى في رجب وسأله التّوبة سبعين مرّة بالغداة وسبعين مرّة بالعشيّ يقول: أَسْتَغْفِرُ اللهَ وأَتُوبُ إلَيه، فإذا بلغ تمام سبعين مرّة رفع يديه وقال: أللّهُمَّ اغْفِرْ لي وَتُبْ عَلَيَّ فإن مات في رجب مات مرضيّاً عنه ولم تمسّه النّار ببركة رجب.

(إقبال الأعمال: ٢١٦/٣)

يُعافى قارئها من الفزع الأكبر

موجز في التعريف بسورة «الكافرون»

إعداد: سليمان بيضون

* السورة التاسعة بعد المائة في ترتيب سوَر المُصحف الشريف، آياتها ستّ، وهي مكّية، نزلت بعد «الماعون».
* ورد في النبويّ الشريف أنّ مَن قرأها كأنّما قرأ رُبُع القرآن.
* سُمّيت بـ«الكافرون» لورود هذا الاسم في الآية الأولى منها بعد البسملة، وهي قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾.

ورد في سبب نزول سورة (الكافرون) أنّ نفَراً من وجوه قريش قالوا للنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «هلمّ يا محمّد فاتّبع ديننا نتّبعْ دينك، ونشركك في أمرنا كلّه، تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة، فإن كان الذي جئتَ به خيراً ممّا بأيدينا كنّا قد شركناك فيه وأخذنا بحظّنا منه. وإن كان الذي بأيدينا خيراً ممّا في يديك كنتَ قد شركتنا في أمرنا وأخذت بحظّك منه».

فأجابهم صلّى الله عليه وآله وسلّم: «معاذ الله أن أُشرِكَ به غيره»، وأنزل الله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ إلى آخر السورة.

فضل السورة

* عن النبيّ صلّى الله عليه وآله: «مَن قرأ ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ كأنّما قرأ ربُعَ القرآن، وتباعدتْ عنه مرَدةُ الشياطين، وبرِئ من الشِّرك، ويُعافى من الفزَع الأكبر».
* وعن الإمام الصادق عليه السلام: «مَن قرأ ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾، و﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ في فريضةٍ من الفرائض غفَر اللهُ له ولوالديه وما ولدَ، وإنْ كان شقيّاً مُحيَ من ديوان الأشقياء...».
* عن أبي الحسن الإمام الرضا عليه السلام: «قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: صلّى بنا رسولُ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، صلاةَ السفر، فقرأ في الأولى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾، وفي الأخرى ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ثمّ قال: قرأتُ لكم ثُلُثَ القرآن وربُعه».

من آداب تلاوتها

* عن الإمام الصادق عليه السلام: «كان أبي يقول: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ ربُعُ القرآن، وكان إذا فرغ منها قال: أعبدُ اللهَ وحدَه، أعبدُ اللهَ وحدَه».
* وعنه عليه السلام: «إذا قلتَ: ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾ فقلْ: ولكنّي أعبدُ اللهَ مخلصاً له ديني، وإذا فرغتَ منها، فقلْ: دينيَ الإسلام. ثلاث مرات».

استحباب تلاوتها في الصلوات

* عن معاذ بن مسلم، عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال له: «لا تدعْ أن تقرأ ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ في سبع مواطن: في الركعتين قبل الفجر، وركعتَي الزوال، والركعتين بعد المغرب، وركعتَين من أوّل صلاة الليل، وركعتَي الإحرام، والفجر إذا أصبحت بها،

وركعتَي الطواف». [المقصود من الإصباح بصلاة الفجر، أداؤها عند انتشار الضوء]

* وفي رواية أخرى عنه عليه السلام، أنّه يبدأ في الصلوات المتقدّمة بـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، وفي الركعة الثانية بـ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ إلّا في الركعتين قبل الفجر، فإنّه يبدأ بـ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ ثمّ يقرأ في الركعة الثانية بـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

..وعند النوم

* عن فروة بن نوفل الأشجعي عن أبيه أنّه أتى النبيَّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، فقال: جئتُ يا رسول الله لتعلّمني شيئاً أقوله عند منامي، فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «**إذا أخذتَ مضجعَك فاقرأْ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ثمّ نَمْ على خاتمتها، فإنّها براءةٌ من الشّرك**».

* وعنه صلّى الله عليه وآله، من ضمن حديث: «..**فعلّموها صبيانكم عندَ النّوم، ومَن قرأها عندَ طلوعِ الشّمسِ عشر مرّات، ودعا بما أرادَ من الدنيا والآخرة، استجابَ اللهُ له ما لم يكنْ في مَعصية**».

..وللخلاص من السهو في الصلاة

عن عمرو بن يزيد، قال: شكوتُ إلى أبي عبد الله الصادق عليه السلام السّهوَ في المغرب، فقال: «**صلّها بـ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾**»، ففعلتُ فذهب عنّي.

قال المفسّرون

يقول المرجع الديني الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في (تفسير الأمثل)، شارحاً معاني آيات سورة «الكافرون»:

* ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ الآية:١.

الخطاب في الآية إلى قومٍ مخصوصين من الكافرين. وإنّما

المِنَنُ السَّابِغَة

مواهب سورة (التّوحيد) في رجب

*من قرأ في يوم الجمعة من رجب سورة (التوحيد) مائة مرة كان له نوراً يوم القيامة يسعى به إلى الجنّة.

* عن الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله: «**مَن قرأ في عُمُرِه عشرة آلاف مرّة (قل هو الله أحد) بنيّةٍ صادقة في شهر رجب، جاء يوم القيامة خارجاً من ذنوبه كيوم ولدته أمّه، فيستقبله سبعون ملكاً يبشّرونه بالجنّة**».

(السيّد ابن طاوس، إقبال الأعمال: ٢١٨/٣)

* وفي حديث آخر عن النبيّ صلّى الله عليه وآله: «**من قرأ (قل هو الله أحد) ألف مرة، جاء يوم القيامة بعمل ألف نبيّ وألف ملك، ولم يكن أحد أقرب إلى الله إلا مَن زاد عليه، وإنّها لتضاعف في شهر رجب**».

وفي حديث آخر عنه صلّى الله عليه وآله: «**من قرأ (قل هو الله أحد) مائة مرة، بورك له وعلى ولده وأهله وجيرانه، ومن قرأها في رجب بنى الله تعالى له اثني عشر قصراً في الجنة**»..».

ثمّ يقول الله تعالى: اذهبوا بعبدي فأروه ما أعددتُ له، «..» فإذا رآها دهش وقال: هذا لمَن مِن الأنبياء؟ فيقال: هذا لك بقراءة (قل هو الله أحد)».

(إقبال الأعمال: ٢١٨/٣)

ذهب المفسّرون إلى ذلك لأنّ الآيات التالية تنفي أن يعبد الكافرون ما يعبدُه المسلمون وهو الله سبحانه؛ في الماضي، والحال، والمستقبل. والمجموعة المخاطبة بهذه الآيات بقيتْ بالفعل على كفرها وشركها حتّى آخر عمرها. بينما دخل كثير من المشركين بعد فتح مكّة في دين الله أفواجاً.

* ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾ الآية:٣.

لِما تأصّل فيكم من لجاج وعناد، وتقليد أعمى لآبائكم، ولِما تجدونه في الدعوة من تهديد لمصالحكم، وللأموال التي تُدَرّ عليكم من عبدة الأصنام. ولمزيد من التأكيد وبثّ اليأس في قلوب الكافرين، ولبيان حقيقة الفصل الحاسم بين منهج الإسلام ومنهج الشرك.

﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ الآيات:٤-٦.

لا معنى لإصراركم على المصالحة والمهادنة معي حول مسألة عبادة الأوثان، فإنّه أمر محال.

من أحكام تلاوتها

عن عمرو بن أبي نصر، قال: قلتُ لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: الرجلُ يقوم في الصلاة فيريد أن يقرأ سورة ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾، فقال عليه السلام: «**يرجع من كلّ سورة إلّا من ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾**».

وقد أفتى الفقهاء بمضمون الرواية المتقدّمة. جاء في (العروة الوثقى) للسيّد اليزدي، في أحكام القراءة في الصلاة، المسألة السادسة عشرة: «يجوز العدول من سورة إلى أخرى اختياراً ما لم يبلغ النصف، إلّا من (الجُحد) و(التوحيد)، فلا يجوز العدول منهما إلى غيرهما». وسورة (الجُحد) هي سورة (الكافرون).

هذا حملته الإبل من الحجاز

عن ابن أبي عمير، قال: سأل أبو شاكر الديصانيّ، وهو من الدهريّة الملاحدة، أبا جعفر الأحول، من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، عن قول الله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾ فهل يتكلّم الحكيم بمثل هذا القول، ويكرّره مرّةً بعد مرة؟

فلم يكن عند أبي جعفر الأحول في ذلك جواب، فدخل المدينة، فسأل أبا عبد الله الصادق عن ذلك، فقال عليه السلام: **كان سببُ نزولها وتكرارها أنّ قريشاً قالت لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: تعبُد آلهتَنا سنة ونعبدُ إلهَك سنة، وتعبُد إلهنا سنة ونعبد إلهَك سنة، فأجابهم اللهُ بمثل ما قالوا، فقال فيما قالوا: تعبد آلهتَنا سنة: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾، وفيما قالوا: ونعبد إلهك سنة: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾، وفيما قالوا: تعبدُ إلهنا سنة: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ﴾، وفيما قالوا: ونعبد إلهك سنة، ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾**. فرجع أبو جعفر الأحول إلى أبي شاكر فأخبره بذلك، فقال أبو شاكر: هذا حملتْه الإبلُ من الحجاز!

(تفسير القمي: ٢/ ٤٤٦)